http://www.answersingenesis.org/articles/nab/couldnt-god-have-used-evolution

ألا يمكن أن يكون الله قد استخدم التطور؟

بقلم كين هام

22 أغسطس 2007

علماني

الكلمات الرئيسية

- سلطان الكلمة
- المؤلف - كين هام
- تنازلات الخلق
- التطور
- الأرض القديمة

خلال محاكمة سكوبس في عام 1925، طلب محامي منظمة الدفاع عن حقوق الفرد كلارنس دارو من وليام جينينجز برايان (كممثل عن المسيحية) المثول على المنصة واستجوبه حول إيمانه. وخلال الاستجواب، فند دارو إيمان بريان بالكتاب المقدس على أنه ضد اعتقاده في التفكير العلمي الحديث. وسأل دارو بريان عن معنى كلمة "يوم" في سفر التكوين. وكان ثمة رفض في إجابة بريان للتعليم الواضح للوحي المقدس، والذي يشير إلى أن الايام التي تحدث عنها تك 1 هي 6 أيام فعلية بطول 24 ساعةً تقريباً. وبدلاً من ذلك، كان بريان يقبل التفكير التطوري الحديث، وظهر ذلك في قوله " أرى انه سيكون على نفس القدر من السهولة للإله الذي نؤمن به أن يخلق الأرض في 6 أيام كما في 6 سنين أو 6 مليون سنة أو 600 مليون سنة. ولا أرى أهمية لما إذا كنا نؤمن بأحد الاحتمالات دون الأخرى." لم تكن هذه أول مرة ينكر فيها مسيحي المعنى الحقيقي لكلمة الله، وقطعاً لن تكون الأخيرة.

يزعم الكثير من المسيحيين اليوم أن ملايين السنين من تاريخ الأرض مبدأ يناسب ما ورد في الكتاب المقدس، وأنه ربما يكون الله قد استخدم عمليات التطور الإلهي في الخلق. إن هذه الفكرة ليست بالحديثة. فعلى مدار أكثر من 200 عام قام الكثير من اللاهوتيين بمثل هذه المحاولات التوفيقية استجابةً لأعمال أناس مثل تشارلز داروين والجيولوجي الاسكتلندي تشارلز لايل، الذي ساعد في الترويج لفكرة ملايين السنين من تاريخ الأرض والعمليات الجيولوجية البطيئة.

عندما نأخذ بعين الاعتبار احتمالية أن الله استخدم العمليات التطورية في الخلق على مدار ملايين السنين، نواجه عواقب وخيمة: إذ تفقد كلمة الله سلطانها، وتصبح شخصية إلهنا المحب محل تساؤل.

تضمينات من الوحي المقدس

في عهد داروين، كان أحد أنصار نظرية التطور الرائدين يرى أنه ثمة تنازل في الإدعاء بأن الله استخدم التطور، وهي تعليقات تستحق قراءتها مرة أخرى. فما أن تقبل التطور ومتضمناته التاريخية، يصير المرء حراً في اختيار وانتقاء المقاطع التي يريد قبولها من الكتاب المقدس.

من منظور تطوري

أشار عالم الإنسانيات الرائد في عصر داروين، توماس هاكسلي (1825 – 1895)، إلى عدم الإتساق المتعلق بإعادة تأويل الوحي المقدس ليلائم التفكير العلمي الرائج. كان هاكسلين وهو عالم إنسانيات تطوري غيور، كان معروف بلقب "حارس داروين"، إذ قام بالترويج لأفكار داروين أكثر من داروين نفسه. كان هاكسلي على قدر من فهم المسيحية يفوق فهم اللاهوتيين الذين حاولوا إضافة التطور وملايين السنين للكتاب المقدس وضوحاً. واستخدم تنازلاتهم ضدهم لدعم قضيته في التقليل من شأن المسيحية.

في مقاله "أضواء الكنيسة والعلم"، قال هاكسلي:

إنني حقاً لا أستطيع تفسير كيف يمكن لأحدن ولو للحظة، أن يشك في أن اللاهوت المسيحي يجب أن يثبت أو يسقط مع المصداقية التاريخية للكتابات اليهودية. فإن مفهوم المسيا، أو المسيح، متعلق بشدة بل ومتلاحم مع التاريخ اليهودي، إن تعريف يسوع الناصري بأنه المسيا يقع على كاهل تأويل المقاطع اليهودية التي ليس لها قيمة دلالية إلا إن كانت تتضمن الشخصية التاريخية المعطاة لها. لو لم يكن قد تم قطع عهد مع إبراهيم، ولو لم يكن يهوه قد طالب بالختان والذبائح، ولو لم تكن الوصايا الـ 10 قد كتبت بإصبع الله على لوحي الحجارة، ولو كان إبراهيم ليس إلا بطل أسطوري مثل زيوس، ولو كانت قصة الطوفان درباً من الخيال، وقصة السقوط أسطورةً، وقصة الخليقة رواية حالمن لو كانت كل هذه الروايات المحددة والمفصلة لتلك الأحداث الحقيقية لا تتجاوز قيمتها التاريخية قيمة تلك القصص التي ظهرت في الحقبة الملكية الرومانية – فماذا يسعنا أن نقول عن عقيدة المسيا التي هي أقل وضوحاً من حيث التعبير: وماذا عن سلطان كتاب العهد الجديد، الذين وفقاً لهذه النظرية، لم يقبلوا مجرد خيالات مهلهلة على انها حقائق صلبة، بل بنوا أساسات المبادئ المسيحية على رمال متحركة من الأساطير؟

أشار هاكسلي إلى أنه إذا كنا نؤمن بعقائد العهد الجديد، فيجب ان نؤمن بالرواية التاريخية لسفر التكوين كحقيقة تاريخية.

كان هاكسلي عاقد العزم على تدمير حقيقية السجل الكتابي. حين رفض الناس الكتاب المقدس، سعد. ولكن حين حاولوا أن يوفقوا بين الأفكار التطورية والكتاب المقدس وإعادة تأويله، هاجم هذا الموقف بضراوة.

أعترف بأنني سرعان ما أضل طريقي حين أحاول أن أتبع من يمرون برفق على "أنواع" وقصص رمزية. إن شغفي الشديد بالوضوح يدفعني لأن أسأل بصراحة ما إذا كان الكاتب يقصد أن يقول إن يسوع لم يكن يؤمن بالروايات محل النقاش أم أنه كان يؤمن بها؟ في الواقع، حين قال يسوع إن "جاء الطوفان ودمرهم جميعاً"، فهل كان يؤمن حقاً بان الطوفان حدث أم لا؟ يبدو لي أنه في ذكر الرواية لزوجة نوح وزوجات أبناءه، ثمة ضمان كتابي جيد للتصريح بأن الناس قبل الطوفان كانوا يتزوجون: وكان ينبغي أن أظن أن أكلهم وشربهم ربما يفترض من قبل أشد المؤمنين بالحقيقة الحرفية للقصة. علاوةً على ذلك، أية قيمة يستخدمها الله كتوضيح لطرق الله في التعامل مع الخطية إن كانت الأحداث لم تحدث بالفعل؟ إن لم يكن طوفاناً قد اجتاح الخطاة، لا يكون للأمر قيمة أكثر من قيمة التحذير من مجيء الذئب بينما لا يوجد ذئب.

ثم أعطى هاكسلي درساً عن لاهوت العهد الجديد. استشهد بـ متى 19: 4 – 5: "فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى
وقال. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً"؟" علق هاكسلي قائلاً " إن كان السلطان الإلهي ليس مقصوداً من العدد الـ24 من الإصحاح الثاني من سفر التكوين، فما قيمة اللغة؟ ومرة أخرى أتساءل: إن استهتر المرء بقصة السقوط واعتبرها "نوعاً" أو "حكايةً رمزيةً"، فماذا سيحل باللاهوت البولسي؟"

ولإثبات هذا استشهد هاكسلي بـ 1 كورنثوس 15: 21 – 22: " فانه إذ الموت بإنسان بإنسان أيضاً قيامة الأموات. لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع."

ويستكمل هاكسلي قائلاً
إن كنا نعتبر آدم شخص ذا بعد أكثر حقيقيةً من بروميصيوس، وإن كانت قصة السقوط ليست إلا نمذجاً إرشادياً، مقارنةً بأسطورة بروميثيوس المتأصلة، فما قيمة جدلية بولس؟"

وهكذا، فإن من قبلوا عقائد العهد الجديد التي علم بها بولس والمسيح، ولكنهم أنكروا رواية سفر التكوين كتاريخ حرفي، زعم هاكسلي قائلاً "تبقى الحقيقة المحزنة أن الموقف الذي اتخذوه واه إلى أبعد الحدود."

وكان مصراً على أن العلم (ويعني به الأفكار التطورية التي تناصر العصور الطويلة في القديم) أثبت أنه لا يمكن للمرء أن يقبل رواية سفر التكوين عن الخلق والطوفان كحقائق تاريخية. وأشار إلى أن عقائد مختلفة في العهد الجديد تعتمد على حقيقة تلك الأحداث، مثل تعاليم بولس عن عقيدة الخطية، وتعاليم المسيح حول عقيدة الزواج، والتحذير من الدينونة العتيدة. سخر هاكسلي ممن حاولوا التوفيق بين التطور وملايين السنين من جهة، والكتاب المقدس من جهة، لن ذلك يتطلب التخلي عن تاريخية سفر التكوين بينما يحاولون التشبث بعقائد العهد الجديد.

ماذا كان مقصد هاكسلي؟ أصر على أن اللاهوتيين يجب أن يقبلوا التطور ونظرية ملايين السنين، ولكنه أشار إلى أنه من أجل الاتساق، سيكون عليهم التخلي تماماً عن الكتاب المقدس. فالتنازل والتوفيق والحل الوسط مستحيل.

من تعاليم القيادات المسيحية

تبنى كل من بي بي وارفيلد وتشارلز هودجن وهما قائدان عظيمان في الإيمان المسيحي خلال القرن الـ 19، اعتقاد ملايين السنين فيما يتعلق بعمر الأرض المعاد تأويله وفقاً لتكوين 1. وفيما يتعلق بمناقشة حول تك 1 وأيام الخلق قال هودج "أجبرت الكنيسة أكثر من مرة على تبديل تفسيرها للكتاب المقدس لملائمة الاكتشافات العلمية. ولكن ذلك تم دون أي تعنيف للكتاب المقدس أو أية درجة من إضعاف سلطته."

يعلم سفر التكوين بأن الموت هو نتيجة لخطية آدم (تكوين 3: 19 ، رومية 5: 12، 8: 18 – 22) وأن كل ما خلقه الله كان "حسناً جداً" لدى الانتهاء من خلقه (تكوين 1: 31) كان كل البشر والحيوانات نباتيين في الأصل (تكوين 1: 29 – 30). ولكن إن تنازلنا فيما يتعلق بتاريخ سفر التكوين بقبول إضافة ملايين السنين، فيجب أن نؤمن بأن الموت والأمراض كانا جزءاً من العالم والخليقة قبل أن يخطئ آدم. فإن فكرة ملايين السنين (المزعومة) من تاريخ الأرض في سجل الحفريات تظهر أدلة عن أن الحيوانات كانت تأكل بعضها البعض، وتظهر وجود مرض مثل السرطان في عظامها، وتظهر العنف، وتظهر الأشواك في بعض النباتات، وإلى آخره. ويفترض أن كل هذا كان موجوداً قبل ظهور الإنسان على الساحة، وهكذا، قبل دخول الخطية (ولعنة الموت والمرض والأشواك وأكل اللحومن الخ) إلى العالم.

إن المؤمنين الذين يعتقدوم في قدم عمر الأرض (ملايين السنين) بحاجة لأن يفهموا جيداً الطبيعة الحقيقية لإله

الأرض القديمة – فهو ليس الإله المحب الذي يحدثنا عنه الكتاب المقدس. حتى الكثير من القادة الإنجيليين المسيحيين المحافظين يقبلون بل ويروجون بنشاط الاعتقاد في ملايين ومليارات السنين من عمر الصخور. كيف يمكن لإله الحب أن يسمح بمثل هذه العمليات البشعة كالأمراض والمعاناة والموت لملايين السنين كجزء من خليقته "الحسنة جداً"؟
ومن المثير للاهتمام أن المتحررين يشيرون إلى عدم الاتساق الذي يتسم به التشبث بقدم الأرض مع محاولة التشبث بالمسيحية الإنجيلية. فعلى سبيل المثال، يصرح الأسقف جون شيلبي سبونج، الأسقف المتقاعد لكنيسة Episcopal Diocese في نيوارك قائلاً:

بدأ الكتاب المقدس بافتراض أن الله خلق عالماً مكتملاً وكاملاً سقط منه البشر في حركة من العصيات الكوني. كانت الخطية الأصلية هي الحقيقة التي كان يفترض أن تحيا بها كل أشكال الحياة. ولكن داروين افترض ان الخليقة لم تكن مكتملة ولم تكن كاملة... . لم يسقط الإنسان من الكمال إلى الخطية كما علمت الكنيسة على مدار سنوات... لذا فإن الأسطورة الأساسية للمسيحية التي تنادي بأن يسوع هو مرسال إلهي جاء ليفدي ضحايا السقوط من عواقب خطيتهم الأصلية أصبحت غير سارية.

إن هذه إشارة واضحة لملايين السنين المصاحبة لسجل الحفريات؟ إن غله الأرض القديمة إله يستخدم الموت كجزء من الخلق. لذا فالموت لا يمكن أن يكون أجرة الخطية ولا يمكن أن يوصف بأنه آخر عدو (كونثوس الأولى 26:15).

لذا لا يمكن أن يكون إله الأرض القديمة هو إله الكتاب المقدس القادر على أن يخلصنا من الخطية والموت. وهكذا، حين يقدم المسيحيون تنازلات بقبول ملايين السنين التي يلحقها الكثير من العلماء بسجل الحفريات، يصبحون، في هذا الضوء، وكأنهم يعبدون إلهاً مختلفاً – الإله القاسي إله الأرض القديمة.

يجب أن يتذكر الناس أن الله خلق عالماً مثالياً، لذا فحين ينظرون إلى هذا العالم الحاضر، فإنهم لا ينظرون إلى طبيعة الله بل إلى نتائج خطيتنا.

أرسل إله الكتاب المقدس، إله الرحمة والنعمة والحب، ابنه الوحيد في صورة إنسان (مع الاحتفاظ بألوهيته)، ليصير حامل خطايانا لنفتدى من الخطية والانفصال الأبدي عن الله. وكما هو مكتوب في كورنثوس الثانية 5: 21، "لأنه جعل الذي لم يعرف خطيئة ، خطية لأجلنا ، لنصير نحن بر الله فيه."

لا شك في أن إله الأرض القديمة متناقض تماماً وكلمات البشارة.

باب التنازل

صحيح أن إنكار حرفية أيام الخلق الـ 6 أمر لا يؤثر في خلاص الإنسان إن كان قد ولد من جديد حقاً. إلا إننا بحاجة لأن ننظر إلى الصورة كاملةً.

في الكثير من الأمم كانت كلمة الله تتمتع يوماً باحترام شديد وكانت تؤخذ بجدية بالغة. ولكن ما أن فتح باب التناول، وما أن بدأ القادة المسيحيون ينادون بعدم تفسير الكتاب المقدس وفقاً لما كتب في سفر التكوين، فما حاجة العالم للانتباه إلى كلمة الله في أي مجال؟ لأن الكنيسة قالت للعالم إنه من الجائز أن نعتمد على التفسير الإنساني للعالم، مثل فكرة ملايين السنين، لتأويل الكتاب المقدس، لهذا أصبح الكتاب المقدس يعتبر كتاباً قديم الطراز غير صحيح علمياً ليس الغرض منه أن يصدقه الناس على النحو الذي كتب به.

كلما فتح كل جيل جزء من باب التنازلات، زاد عدم قبوله لأخلاقية الكتاب المقدس والخلاص الذي يقدمه. ففي النهاية، لو لم يكن تاريخ سفر التكوين صحيحاً، فكيف يمكن التأكد من صحة بقية الكتاب؟ قال يسوع " إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات." (يوحنا 3: 12)

إن المعركة ليست معركة بين أرض فتية وأرض قديمة، ولا بين ملايين السنين و 6 أيام، ولا هي معركة بين الخلق والتطور – بل المعركة الحقيقية هي حول سلطان كلمة الله وآراء الإنسان القابلة للخطأ.

لماذا يؤمن المسيحيون بالقيامة الجسدية ليسوع المسيح؟ بسبب كلمات الوحي المقدس ("ما جاء في الكتب").

ولماذا ينبغي أن يؤمن المسيحيون بأيام الخلق الـ 6 الحرفية؟ بسبب كلمات الوحي المقدس ("في 6 أيام خلق الله...").

إن المسألة الحقيقية متعلقة بالسلطان – فهل السلطان لكلمة الله، أم لكلمة الإنسان؟ لذا، ألا يمكن أن يكون الله قد استخدم التطور في الخلق؟ الإجابة هي لا. غن الاعتقاد في ملايين السنين من التطور لا يناقض تعاليم سفر التكوين الواضحة وبقية الوحي المقدس فحسب، بل أيضاً يشوه شخصية الله. يقول لنا الله في سفر التكوين إنه خلق الكون كله وكل ما فيه في 6 أيام بكلمته: "ثم قال الله... ." إن كلمته هي الدليل على كيف ومتى خلق الله، وكلمته بالغة الوضوح.